



فَتْحُ الْوَعْدِ

شَرْحُ خَاتَمِ تَرْجِيٍّ بَكْرٍ بِنِ إِهْدَاؤِهَا

السَّيِّخِ رَزَقِ بْنِ حَامِدِ الْقُرَشِيِّ

- حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى -



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
(102) ﴿ 1 ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 1 ﴾ (2)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
(71) ﴿ 3 ﴾

أما بعد :

أيها الإخوة والأخوات ، لازلنا في شرح الأبيات التي نَظَمَهَا الإمام " أبو بكر
بن أبي داود " ، وهي المسماة " بالحائية " .

وصلنا فيها إلى الأبيات التي ذكرها في أصحاب النبي - صلى الله عليه و
آله وسلم - ، وقد مرّ معنا في الدرس الماضي الكلام على العشرة

(1) آل عمران [الآية : 102] .

(2) النساء [الآية : 1] .

(3) الأحزاب [الآيتين : 70_ 71] .

المبشرين بالجنة ، الذين ذكرهم في أبياته ، ثم ذكر باقي الصحابة ، وما لهم من فضل وسابقة ، فَعَنَوْتُ لهذا الفصل بعنوان :

" إعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة "

والأبيات التي ذكرها الإمام أبو بكر ابن أبي داود هو نظمه وقال :

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ

وَلَا تَكْ طَعَانًا تَعِيبٌ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ

وَفِي الْفَتْحِ آيٍ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

الواجب لهم علينا أيها الأحبة ؛ سلامة قلوبنا وألسنتنا ، ونشر فضائلهم ، والكف عن مساوئهم ، وما شجر بينهم ، والتنويه بشأنهم كما نوه تعالى بذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن .

وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمهات وغيرها في فضائلهم - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

قال الله - عز وجل - : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ .

⁴ سورة الحجرات [الآية : 29] .

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤) ﴿ ٥ .

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠) ﴿ ٥ .

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ (٧) .

ونعلم ونعتقد أن الله تعالى (إِطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ :
إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) (٥) . وهذا غاية في فضلهم - رضي
الله عنه وأرضاهم - .

كما صحَّ في الحديث عند مسلم وأبي داود والترمذي ، وكانوا ثلاثمئة
وبضعة عشر ، وبأنهم (لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (9)
نؤمن بذلك ، وعدد المسلمين في بدرٍ ورد في صحيح البخاري ؛ كما في
حديث البراء بن عازب بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا (ألفاً
وأربعمئة) وقيل : (خمسمئة) ذكر ذلك البخاري ومسلم في
صحيحيهما ، وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (10) .

⁵ (سورة الأنفال [الآية : 74] .

⁶ (سورة التوبة [الآية : 100] .

⁷ (سورة التوبة [الآية : 117] .

⁸ (رواه البخاري (3007) ، ومسلم .

⁹ ([14390] رواه أبو داود (4653) ، والترمذي (3860) ، والنسائي .

¹⁰ (سورة الفتح [الآية : 18] .

فالله - عز وجل - رضي عنهم وبعض المفتونين وبعض المنحرفين لم يَرْضُوا عن الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - ، ونشهد أنهم أفضل القرون من هذه الأمة ، كما صحَّ الخبر في ذلك عند البخاري وأبي داود والترمذي التي هي أفضل الأمم وأن (**مَنْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا مَا مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَبْلُغْ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**) (11) ، كما صحَّ بذلك الخبر عند البخاري ومسلم ، مع الاعتقاد أيها الأحبة بأنهم لم يكونوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ ، ولكنهم مجتهدون للمصيب منهم أجران ، ولمن أخطأ أجزراً واحداً على اجتهاده وخطؤه مغفور ، ولهم من الفضائل الصالحات والسوابق ما يُذهب سيء ما وقع منهم - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

وكذلك القول في زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجز ، وطهرهم تطهيراً كما جاء في آية الأحزاب وغيرها .

ونبراً من كل من وقع في صدره أو لسانه سوء على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته أو على أحدٍ منهم .

وهذا الباب قد انحرف فيه أقوام كثيرون ، وخاصةً الشيعة الرافضة الذين طعنوا في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وطعنوا في بيت النبوة ، بل وكفروا بالصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

فنبراً إلى الله - عز وجل - من هذه الفئات الضالّة المنحرفة ؛ الذين ولغت ألسنتهم في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، بل والذين كفروا بأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والذين يعتقدون أنّ

(11) (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا مَا أَذْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) رواه البخاري (3397) ومسلم (4611) .

عائشة أم المؤمنين التي اختارها الله - عز وجل - لنبيّه ؛ أنّها زانية في قولهم فبرأها الله - عز وجل - من قولهم وشهرهم ، ولكنّهم لازالوا إلى اليوم أهل الرفض يتهمونها بالزنا - فنعوذ بالله من ذلك - .

ونبرأ أيضًا ممّن نحا نحوهم ؛ ممّن يدعون أنّهم على السنّة وقد ولغت ألسنتهم في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ وهم كثير خاصة من الكتاب في هذا العصر الذين لم تدخل السنّة بشاشة قلوبهم ، ولم يتبعوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولم يتّقوا الله في وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه ، فوقعوا فيهم ، وتعدّوا عليهم ، واتّهموهم باتهامات كُتبت و بين أيدينا ، كما وقع " سيد قطب " في هذا الزمان في أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في كتبه ، في كتابه " ظلال القرآن " ، وفي كتابه " العدالة الاجتماعية " ، وفي كتابه " كتب وشخصيات " ، وغير ذلك من الكتب التي كُفر فيها أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وطعن فيهم طعنًا شديدًا والعياذ بالله من ذلك .

وأيضًا من أولئك الذين قبل السيد قطب وبعد السيد قطب من الذين وقعوا وولغت ألسنتهم في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كصاحب كتاب " التاريخ الإسلامي " للنّشار ؛ وهو كاتب قد هلك ، ولكن بقي كتابه إلى اليوم في التاريخ الإسلامي يتداوله طلبة العلم المفتونين ؛ الذين لا يعلمون ما فيه من الطّعن في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ونبرأ إلى الله - عز وجل - مما وقع أيضًا من ذلك الرجل الذي وقع في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو : عائض القرني لما اتهم أبو سفيان واتهم ابنه معاوية أنّهم سُرّاق ، وكذلك من طعنه في صحابيّ

النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن الحنق ؛ عندما قال عنه : " إسمعوا هذا المهبول ماذا يقول "

(وابن الحنق هذا رجل قد أوتي ولدًا كثير فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يُقبل الحسن والحسين فقال : يا رسول الله أتُقَبِّلون الصَّبيان ؟ ، إن لي من الأبناء عشرة ما قبلت أحد ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : وما أفعل إذا أذهب الله الرحمة من قلبك) (12)

فقال عائض القرني : " اسمعوا هذا المهبول ماذا يقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - "

فقد وقع كثير من أولئك الذين وقعوا وولغت ألسنتهم وزلت أقلامهم في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، نتبرأ إلى الله - عز وجل - منهم ، ونُشهد الله تعالى على حبههم وموالاتهم والذب عنهم ما استطعنا حفظًا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وصيته إذ يقول :
(لا تسبوا أصحابي) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (الله الله في أصحابي) رواه مسلم والدارمي .

قال - صلى الله عليه وسلم - : (إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به ، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) (13)

فيا أمة الإسلام هذه وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه ، فذلك يجب على العبد أن يتبرأ من كل من وقع في قلبه أو من لسانه أو

¹² (عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة " صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته .
¹³ (الراوي : زيد بن أرقم المحدث:الألباني المصدر: صحيح الجامع الجزء أو الصفحة 1351:حكم المحدث:صحيح

من قلمه أو زل في أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ نبأ إلى الله - عز وجل - منه ومما كتب ومما قال .

فهؤلاء أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أوصانا النبي - صلى الله عليه وسلم - بهم خيرًا ، فلذلك في الحديث صحَّ أن حب الصحابة من الإيمان ، كما قال : (حب الأنصار أيضا من الإيمان) (14)

فلذلك لابد للعبد أن يكون وقافا عند سنّة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فهم القوم الذين اختارهم الله - عز وجل - لصحبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

هم القوم الذين ائتمنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على كتابة الوحي هم القوم الذين ناصروا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

هم القوم الذين قدّموا أموالهم وأنفسهم ودمائهم فداءً للنبي - صلى الله عليه وسلم - .

هم القوم الذين نقلوا لنا هذا الدين إلى اليوم ، ولذلك أهل الزيغ وأهل الفساد يريدون الطّعن في أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى يُسقطوا عدالتهم ، ومن ثمَّ يَسْقُط ما نقلوه لنا من هذا الدين الصحيح ، فلذلك لابد أن يكون المسلم كَيِّس فطن ؛ لأن يعلم مخططات هؤلاء الذين يتوارثون هذا الخزي منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم كابرًا عن كابر ، وهم يتوارثون هذا الخزي ، ويتوارثون هذا الطّعن ، ويتوارثون هذا الحقد على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

¹⁴ (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " صحيح البخاري " كتاب الإيمان " باب علامة الإيمان حب الأنصار

فذلك ليكن العبد منتبها لهؤلاء حتى تكون سنّيًا سلفيًا ؛ لا بد أن ترجع لما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولما كان عليه الصحابة ، ولما كان عليه أئمة هذا الإسلام : كالإمام مالك والإمام أبو حنيفة النعمان والإمام أحمد بن حنبل وكذلك الإمام الشافعي ، وكذلك أئمة الإسلام من بعدهم : كأحمد والبخاري ومسلم وحمّاد بن زيد وحماد بن سلمة ، وغيرهم من أئمة هذا الإسلام الذين نقلوا لنا هذا العلم الذي ورّثه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذوه من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وإياكم وهذه الكتب التي تنتشر ؛ وفيها الطعن في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يجب على طالب العلم ويجب على أهل العلم عموما أن يُحذّروا من هذه الكتب ، ويُحذّروا من أهلها ، وأن يبيّنوا للأمة هذا الطعن الشديد وهذا العداء الشديد لأصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حفظًا لوصيّة النبي - صلى الله عليه وسلم - ووفاءً لهذا الدين الذي ائتمننا الله - عز وجل - عليه أن نبلّغه للناس وأن نتعلمه من مظانه .

ثم انتقل - رحمه الله - إلى أمر آخر وهو أمر عظيم ؛ وهو الإيمان بالقدر ؛ فقال الناظم - رحمه الله - :

وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنُ فَإِنَّهُ دَعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ
الإيمان بالقدر واجب ، وهو ركن من أركان الإيمان السّتّة التي جاءت في حديث جبريل ؛ الحديث الطويل ، لمّا سأل جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان فقال : **(أَنْ تُوْمِنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**

وَتُؤْمِنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ) (15
قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (16

وفي هذه الآية والتي سأسوقها بيان على أن القدر أمر ديني تعبدي ، ركن
من أركان الإيمان ؛ من أسقطه فليس من أهل الإيمان .

قال الله - عز وجل - : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (17

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (18

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ
قَلْبَهُ ﴾ (19 ، والآيات في هذا كثيرة في كتاب الله - جلَّ وَعَلَا - .

ومن الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بالقدر ؛ حديث جبريل عند
مسلم عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : (فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ) قد تقدم
الحديث .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إِعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ

لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ) أخرجه أبو داود والترمذي .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ)

رواه مسلم وأحمد ، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على ذلك .

(15) رواه مسلم في صحيحه في الجزء أو الصفحة (8) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بلفظ : (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ ، شديدُ سوادِ الشعرِ ، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ، ولا يعرفُه منا أحدٌ ، حتى جلسَ إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، فأسندَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ووضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وقال : يا مُحَمَّدُ ، أخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : الإسلامُ أنْ تشهَدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنْ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ، وتُقيمَ الصَّلَاةَ ، وتُؤتيَ الزَّكَاةَ ، وتَصُومَ رَمَضَانَ ، وتُحجَّ البيتَ ، إنْ استطعتَ إليه سبيلاً ، قال : صدقتُ ، قال : فعجبتنا له ، يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرني عن الإيمانِ ، قال : أنْ تُؤْمِنَ باللهِ ، وملائكتهِ ، وكتبهِ ، ورُسُلِهِ ، واليومِ الآخرِ ، وتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قال : صدقتُ ، قال : فأخبرني عن الإحسانِ ، قال : أنْ تُعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعةِ ، قال : ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائلِ ، قال : فأخبرني عن أمارتها ، قال : أنْ تَلِدَ الأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وأنْ ترى الحفاةَ العُراةَ العالةَ رعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ في البُنْيَانِ ، قال : ثمَّ انطلقَ ، فلبثتُ ملياً ، ثمَّ قال لي : يا عُمَرُ ، أتدري من السَّائلِ ؟ قلتُ : اللهُ ورسوله أعلمُ ، قال : فإنه جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم)

(16) سورة الأحزاب [الآية : 38] .

(17) سورة الأنفال [الآية : 44] .

(18) سورة النساء [الآية : 47] .

(19) سورة التغابن [الآية : 11] .

ويقول العلامة حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله - : (الإيمان **بالقدر على أربعة مراتب**) ، الإيمان بالقدر على أربعة مراتب .
وفي ذلك أهمية لا بد أن نركّز مع هذا الباب لأنه من الأهمية بمكان :
أولا - قال : الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض .

وأنه تعالى قد علم جمع خلقه قبل أن يخلقهم ، وقد علم جميع خلقه
قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع
حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم ، ومن هو منهم من أهل النار
والدليل على المرتبة الأولى وهي : الإيمان بالعلم قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (20)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (21) ، وقوله
تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ ﴾ (22) ، والأدلة على هذه
المرتبة كثيرة جدًا في كتاب الله ، ومن الأحاديث : (قوله - صلى الله
عليه وسلم - لرجلٍ عندما سأله : يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ
أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ : كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا
خُلِقَ لَهُ ،) (23) أولما يُسَّرَ له .

20 (سورة الحشر [الآية : 22] .
21 (سورة الطلاق [الآية : 12] .
22 (سورة سبأ [الآية : 3] .
23 (رواه البخاري ومسلم وأبو داود

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلاَبِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلاَبِ آبَائِهِمْ) (24) .

الإيمان بكتابة ذلك : وهذه المرتبة الثانية للإيمان بكتابة ذلك وأنه - تعالى - قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن ، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح المحفوظ والقلم .

والدليل على المرتبة الثانية قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (24) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ (24) ، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (51) ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ (27)

ومن الأحاديث قول المصطفى عليه - الصلاة والسلام - :
(مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ ، إِلَّا وَقَدِ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . وَإِلَّا وَقَدِ كَتَبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً) (28) .

وفيه أيضًا حديث سُراقَةَ بنُ مالِكِ بنِ جُعْشَمٍ قال : (يا رسولَ اللهِ ! بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ . فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ قَالَ : لا ؛ بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ " قال : ففيمَ العملُ ؟ قال : اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ . وفي رواية : كُلُّ عَامِلٍ مَيْسَرٌ لِعَمَلِهِ) وغير ذلك من الأحاديث .

²⁴ رواه مسلم وأبو داود .
(25) سورة يس [الآية : 12] .
(26) سورة الحج [الآية : 70] .
(27) سورة طه [الآية : 51-52] .
(28) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

ثم قال :

الإيمان بمشيئة الله النافذة : وهذه المرتبة الثالثة ، الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته النافذة وقدرته الشاملة ، والدليل على المرتبة الثالثة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (29) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (30) ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (31) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (32) ، والآيات في ذلك كثيرة .

ومن الأحاديث ، قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في نومه في الوادي : (**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ**) (33) .

وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**) (34) وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (**اشْفَعُوا تَأْجِرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا يَشَاءُ**) (35) والآيات والأحاديث في إثبات هذه المرتبة ، وهي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر كثيرة .

أما المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها - سبحانه - لا خالق غيره ولا رب سواه .

²⁹ التكوير [الآية : 29] .

³⁰ الكهف [الآية : 24] .

³¹ الأنعام [الآية : 39] .

³² النحل [الآية : 93] .

(33) رواه البخاري وأبو داود .

(34) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه .

³⁵ متفق عليه .

والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ ﴾ (36) . وقوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (37) ، وقوله تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ (38) ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ
شَيْءٍ ﴾ (39)

ومن الأحاديث ما ذكره الإمام البخاري في كتابه " **خلق أفعال العباد** " عن حذيفة مرفوعاً : (**إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصُنْعَتَهُ**) ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا**) (40) .

والإيمان بالقدر نظام التوحيد ، الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، وهذا يدل على أن أهل التوحيد المحققين للتوحيد على أقسامه : تحقيق توحيد الله في ربوبيته ، توحيد الله في ألوهيته ، توحيد الله في أسمائه وصفاته ، أنهم لا يخرجون عن هذا أبداً عن الإيمان بالقدر ، ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر ، وامتلث الشرع كما قرر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بالقدر ثم قال لمن قال له : (**أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له**) (41))

[36] الزمر [الآية : 62] .
[37] فاطر [الآية : 3] .
[38] لقمان [الآية : 11] .
[39] الروم [الآية : 40] .
[40] رواه مسلم والنسائي .
[41] رواه البخاري ومسلم .

فمن نفى القدر زاعماً منافاته للشرع ؛ فقد عطلَّ الله تعالى عن علمه
وقدرته ، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقاً لها ، فأثبت مع الله تعالى
خالقاً بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون - نسأل الله العافية
والسلامة - .

وهذا المذهب الخبيث ظهر في عهد الصحابة وأنكروه ، وهو مذهب
القدرية النُّفاة من المعتزلة الذين زعموا أن العبد يخلق أفعاله خيرها
وشرها ، وأن الله منزّه عن ذلك ، فلا يضاف إليه الشرّ لأنه لو خلق
الظلم كان ظالماً - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - .

وذكر شارح الطحاوية حديث أبي داود عن بن عمر عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - قال : **(القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا
تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم) (42**

والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة عليه وأن الذي جحدوه
هم القدرية المحضة بلا نزاع ؛ هو ما قدره الله من مقادير العباد ،
وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء
؛ كقول ابن عمر لما قيل له :

**" يزعمون أن لا قدر وأنّ الأمر أنف ، قال : أخبرهم أني منهم براء وأنهم
مني براء " .**

و هذا هو الصحيح والطريق الأمثل مع أمثال هؤلاء من القدرية ؛ الذين
ينفون قدر الله - عز وجل - ، أن تتبرأ منهم كما تبرأ منهم ابن عمر
ولذلك نحن براء من كل من أنكر القدر أو نفى القدر ، لابد من الإيمان
بالقدر خيرها وشرها من الله سبحانه وتعالى ، هذا الذي لابد أن يكون
عليه طلبه العلم ، ولذلك السلفي من باب أولى أن يكون على علم بهذا ،

⁽⁴²⁾ رواه أبو داود (4691) .

وأن يتعلم من هذا الدين ما يحمي به نفسه من الذين يشبهون على الأمة في دينهم .

فلذلك العلم هو الطريق الصحيح لنجاة الإنسان من الوقوع في الردى ، ومن الوقوع في المهالك ، ومن الوقوع في الطرق التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ وهي طرق أهل الباطل وأهل الشر، فإن الطريق الصحيح واحد ، أما الطرق المتعددة المختلفة فهي التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - .

كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود حين قال : (**خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُسْتَقِيمًا فَقَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ خَطُوطًا فَقَالَ : هَذِهِ السُّبُلُ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ تَلَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (43) (44) .**

فلذلك من تقوى الله - عز وجل - أن تقوم بالعلم وأن تطلبه لأن تنجو ، وأن تدعو إلى العلم الصحيح ، وإن كثير من الناس إلا من رحم الله زهدوا في العلم وزهدوا في الطلب ؛ ولذلك عند زهدهم في العلم وزهدهم في الطلب عرضوا أنفسهم للمشبهين ؛ الذين يشبهون عليهم في هذا الدين ؛ فلذلك البدع كما يقول أهل العلم وكما قال سلفنا الصالح : **" البدع خطافة "**

⁴³ سورة الأنعام [آية : 153] .
⁴⁴ [أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا فَقَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَقَالَ : هَذَا السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (

الراوي: عبدالله بن مسعود المحدث: ابن باز المصدر: مجموع فتاوى ابن باز الجزء أو الصفحة: 4/281

فذلك تخطف من ؟

تخطف من أولئك الذين عندهم أهواء.

وتخطف أولئك الذين قَصَّروا في الطلب ؛ قَصَّروا في طلب العلم فأصبحوا لا يميِّزون بين الغثِّ والسمين ؛ فذلك الجسر المتين والحصن الحصين للإنسان هو: أن يتعلم دين الله وأن يتعلم ما جاء به النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وما كان عليه سلف هذه الأمة.

أسأل الله - عز وجل - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم لهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن يثبتنا عليه وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أعتذر للإخوة الليلة - يعني - متعب ، ولكن معليش سامحوني أيها الأحبة - جزاكم الله خيرا - ووفقنا وإياكم لكل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

